المبحث السادس

أثر السياق القرآني النسقي

في الدلالة على الوصل و الفصل

إنّ الوصل والفصل هُوَ العلم بمواضع العطف والاستئناف، والاهتداء إلى كيفية إيقاع حروف العطف فِي مواقعها، وَهُوَ من أعظم أركان البلاغة؛ لأنّها لا تخلط بين المرعيّ بالمهمل، وتنظم اللآلئ، أي: تنظم ربط الألفاظ عند الوقف والاستئناف يعني ترك العاطف وذكره، إذن فبلاغة الوصل والفصل هُوَ مضمار النظام ومتفاضل الأنظار ومعيار قدر الفهم ومسار صوابه فِي الكلم والجمل(١).

فالوصل هُوَ عطف بعض على بعض، وتوسط الواو العاطفة بين الجملتين، أمّا الفصل هُوَ الترك، أي: ترك الواو العاطفة بين الجملتين، والمجيء بها منثورة، تستأنف واحدة منها بعد الأخرى(٢).

وتمييز موضع أحدهما عن موضع الآخر على ما تقتضيه البلاغة، فلا يحيط علماً وفهماً بكنهه إلاّ من أوتي فهم كلام العرب طبعاً سليماً، وأحوالهما دقيقة المجرى، لطيفة المغزى، جليلة المقدار، كثيرة الفوائد(٣).

---

(١) ينظر: الصناعتين: ٤٣٨؛ وينظر: مفتاح العلوم: ٢٤٩؛ وينظر: نهاية الأرب: ٧/٧٠؛ وينظر: جواهر الأدب: ١٨٠؛ وينظر: جواهر البلاغة: ١/١٧٩؛ وينظر: علوم البلاغة: ١٦٢؛ وينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح فِي علوم البلاغة: ٢/٣٢٢.

(٢) ينظر: الإيضاح فِي علوم البلاغة: ٣/٩٧؛ وينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة: ٣/١٦٩.

(٣) ينظر: الإيضاح فِي علوم البلاغة: ٣/٩٧؛ وينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة: ٢/٢٠.

ومثال الوصل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[1] عطف جملة (وكونوا) على ما قبلها.

ومثال الفصل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2] فجملة (ادفع) مفصولة عمّا قبلها.

فكل من الوصل والفصل يجيء لأسباب بلاغية، ومن هَذَا يُعلم أنّ الوصل جمع وربط بين جملتين (بالواو) لصلة بينهما فِي الصورة والمعنى، أو لدفع اللبس، والفصل ترك الربط بين الجملتين، إمّا لأنهما متحدتان صورة ومعنى، أو بمنزلة المتحدتين، وإمّا لأنه لا صلة بينهما فِي الصورة أو فِي المعنى، إذن الخلاصة منهما هُوَ العلم بمواقع الجمل والوقوف على ما ينبغي أن يضع فيهما[3].

وبلاغة الوصل لا تتحقق إلاّ (بالواو) العاطفة دون بقية حروف العطف؛ لأنّ (الواو) هي الأداة التي تخفى الحاجة إليها، ويحتاج العطف بها إلى لُطف فِي الفهم، ودقة فِي الاستيعاب والإدراك، إذ لا تفيد إلاّ مجرد الربط وتشريك ما بعدها لما قبلها فِي الحكم أي: (الرفع والنصب والجر)، ومثل عطف (الواو)، قوله تعالى: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ﴾[4]، أمّا العطف بغير (الواو)، فيفيد مع التشريك معاني أخرى، كالترتيب مع التعقيب فِي (الفاء)، وكالترتيب مع التراخي فِي (ثُمَّ) وهكذا باقي حروف العطف التي إذا عطف بواحد منها

---

(١) سورة التوبة: ١١٩.

(٢) سورة فصلت، من الآية: ٣٤.

(٣) ينظر: جواهر البلاغة: ١٧٩؛ ينظر: البلاغة العربية: ١/٥٥٧؛ وينظر: الخلاصة فِي علوم البلاغة: ٢٧.

(٤) سورة الشعراء: ١٣٣.

ظهرت الفائدة، ولا يقع اشتباه فِي استعماله[1].

ومثال العطف بـــ(الفاء) قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾[2] فأولاً أزلّ الشيطان آدم وحواء، وبعدها عقب ذَلِكَ أخرجهما من الجنة لعصيانهما أمر الله بغوايتهما.

ومثال العطف (ثُمَّ) قوله تعالى: ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ﴾[3].

ويمكن أن نبيّن حروف العطف فِي آية واحدة وإفادتها لمعانيها ودقة بلاغة القرآن الكريم وذروته.

قَالَ تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾[4].

وفيما يتعلق (بالواو) نجدها فِي الآيات الكريمة السابقة عاطفة للسقي على الطعام لتنفيذ مطلق الجمع، ويمكن تقديم الطعام على الشراب وبالعكس دون أن يؤثر على المعنى، أو فِي دائرته الدلالية، ولكن (الفاء) جاءت عاطفة للشفاء على المرض؛ لأنّ الشفاء يأتي عقيب المرض مباشرةً، فأفادت الترتيب

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٧٥؛ وينظر: جواهر البلاغة: ١٨/١؛ وينظر: فن التحرير العربي: ١٠٥، ١٠٦؛ وينظر: نهاية الأرب: ٦٠/٧؛ وينظر: الخلاصة فِي البلاغة: ٢٧.

(٢) سورة البقرة، من الآية: ٣٦.

(٣) سورة الواقعة: ٥٣-٥٤.

(٤) سورة الشعراء: ٧٥-٨١.

والتعقيب وهذا النسق العجيب في الترتيب حدده السياق القرآني وهو من جملة إعجاز القران الكريم، أمّا (ثُمَّ) فقد استخدمت لعطف الأحياء على الإماتة؛ لأنّ البعث تال للموت مع مرور وقت بينهما، لذا كانت (ثُمَّ) دالة على الترتيب والتراخي، وهذا النسق الترتيبي هو غاية الإعجاز ومنتهاهُ وهذا لا تجدهُ إلا في كتاب الله العزيز[1].

إذن فأعظم معالم العطف، ومعلم الوصل والفصل بين العمل كتاب الله ثم أقوال الرسول ﷺ.

ويكون الوصل بالعطف نوعين، هما[2]:

أولاً: عطف مفرد على مفرد، وعطف جملة على جملة:

فعطف المفرد فيستفاد منه مشاركة الثاني للأول في رفعه ونصبه وجرّه، بالفاعلية والمفعولية، أو الإضافة، وحروف الجر، أمّا الصفات فلا يجري فيها العطف؛ لأنّ الصفة جارية مجرى الموصوف، ويُنهي عن دخول الواو بين الصفة والموصوف لاستحالة عطف الشيء على نفسه، والصفة يمكن أن تحل محل الموصوف.

أمّا عطف الجملة على الجملة فهو على وجهين أحدهما أن يكون العطف على جملة لها موضع (محل) من الإعراب فتكون المعطوفة كذلك أيضاً، فحكمها حكم المفرد، وثانيها أن تعطف جملة على جملة لا موضع لها من الإعراب،

---

(١) ينظر: فن التحرير العربي: ١٠٦.

(٢) ينظر: نهاية الأرب فِي فنون الأدب: ٧/٧١؛ ينظر: الطراز لأسرار البلاغة: ٢/٢٠، ٣/١٧٢؛ وينظر: جواهر البلاغة: ١/١٧٩؛ وينظر: البلاغة العربية: ٥٥٧، ٥٧١، ٥٧٢؛ وينظر: فن التحرير العربي: ٨٦، ٨٧؛ وينظر: دلائل الإعجاز: ١٧٤.

فتكون الثانية لا محل لها من الإعراب أيضاً، وتكون فائدة الواو العاطفة بين الجملتين التي لا محل لها من الإعراب الجمع بين مضمون الجملتين في الحصول، وهذا العطف هو نسق جملي ترتيبي لإضفاء الجمالية والحكم والسبك والإعجاز.

ثانياً: الربط الكلّي:

وهو يتجاوز الكلمات والجمل إلى تلاحم الفقرات وتماسكها في نسق كلّ شامل على مستوى النص، وتحقيق ذلك ليس بالأمر الهيّن ولا اليسر، والربط الكلي يعالج على مستويات متعددة، تشمل الوحدة الفنية، والصوتية والموضوعية والدلالية المختلفة وفقاً للقواعد والأصول لكلّ فن[1].

وهناك مواضع للوصل والفعل في الجمل يجيء لأسباب بلاغية، تدعو الحاجة ويقتضي المقام ذكرها:

١- مواضع الوصل[2]:

يقع الوصل في الجمل في مواضع ثلاثة:

الأول: إذا اتفقت الجملتان في الخبرية والإنشائية لفظاً ومعناً، أو معناً فقط، ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما، وكانت بينهما مناسبة تامة في المعنى.

فمثال الخبريتين، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[3].

---

(١) ينظر: فن التحرير العربي: ٨٦.

(٢) ينظر: المنهاج الواضح للبلاغة: ١٠٣-١١٦؛ وينظر: جواهر البلاغة: ١٨١؛ وينظر: البلاغة الواضحة: ٢٥٤، ٢٥٥؛ وينظر: الخلاصة في علوم البلاغة: ٢٨.

(٣) سورة الانفطار: ١٣-١٤.

ومثال الإنشائيتين، قوله تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ﴾[1].

ومثال المختلفين، قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾[2] أي: إني أشهد الله وأشهدكم، فتكون الجملة الثانية في هذه الآية إنشائية لفظاً، ولكنها خبرية في المعنى.

الثاني: دفع توهم غير المراد، وذلك إذا اختلفت الجملتان في الخبرية والإنشائية، وكان الفصل يوهم خلاف المقصود.

مثل: (لا وبارك الله فيك)، تجيب لمن قال: (هل لك حاجة أساعدك في قضاءها)، فترك (الواو) قبل (وبارك) يوهم السامع الدعاء عليه، وهو خلاف المقصود، لأنّ الغرض الدعاء له، ولهذا وجب الوصل هنا أيضاً.

الثالث: إذا قُصد اشتراك الجملتين في الحكم الإعرابي، أي: إذا كان للجملة الأولى محل من الإعراب، وقصد تشريك الثانية لها في الإعراب، فلا مانع وكان بينهما مناسبة أي جهة جامعة تسوغ العطف، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ...﴾[3]، إذ قصد اشتراك (يصدون) لـــ(كفروا) في جعله صلة، ونحو: محمود يقول ويفعل، ومنه قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[4]، فجملة (يقبض) وقعت خبراً للفظ الجلالة،

---

(١) سورة الشورى: ١٥.

(٢) سورة هود: ٥٤.

(٣) سورة الحج: ٢٥.

(٤) سورة البقرة: ٢٤٥.

وجملة (يبسط) عطفت عليها بالواو؛ لأنَّ القصد إشراك الثانية للأولى في الحكم الإعرابي وهو وقوعهما خبراً للمبتدأ، وبين الجملتين تناسب، إذ المسند إليه في كل منهما واحد وهو الله ﷻ، وبين المسندين (يقبض ويبسط) تضاد فهما متناسبان. وسرّ بلاغة الوصل هنا هي تصوير عظمة القادر، وانه بيده الأمر من خلال جمعه بين القبض والبسط وهذا من جمال وإعجاز التناسب النسقي في كتاب الله تعالى.

٢- مواضع الفصل:

يقع الفصل في الجمل في مواضع خمسة[١]:

الأول: (كمال الاتصال) وهو اتحاد الجملتين اتحاداً تامّاً وامتزاجاً معنويّاً، بحيث تُتزّل الثانية من الأولى منزلة نفسها، كما في الحالات الآتية:

أ - أن تكون الجملة الثانية بمنزلة البدل من الجملة الأولى، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٍ وَبَنِينَ﴾[٢].

ب- أو تكون الجملة الثانية بياناً لإبهام في الجملة الأولى، كقوله تعالى: ﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾[٣]. فجملة (قال يا آدم): بيانٌ لّما وسوس به الشيطان.

ج- أو أن تكون الجملة الثانية مؤكدة للجملة الأولى بما يشبه أن يكون

---

(١) ينظر: جواهر البلاغة: ١٨٣؛ وينظر: الخلاصة في علوم البلاغة: ٢٨؛ البلاغة الواضحة: ٢٥١، ٢٥٢.

(٢) سورة الشعراء: ١٣٢-١٣٣.

(٣) سورة طه: ١٢٠.

توكيداً لفظيّاً أو معنويّاً، كقوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾[1]. فالمانع من العطف في هذا الموضع اتحاد الجملتين اتحاداً تامّاً يمنع عطف الشيء على نفسه، ويوجب الفصل.

الثاني: (كمال الانقطاع) وهو اختلاف الجملتين اختلافاً تامّاً وتبايناً كاملاً والى فقدان المناسبة بينهما، كما في الحالتين[2]:

أ – بأنْ يختلفا خبراً وإنشاءً، لفظاً ومعناً، أو معناً فقط، نحو: قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[3] فالجملة الأولى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ﴾ خبرية لفظاً ومعنى، والجملة الثانية ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ إنشائية لفظاً ومعنى، والفصل بينهما لا يوهم خلاف المقصود ولذا وجب الفصل بينهما.

ب– أو ألاّ تكون بين الجملتين مناسبة في المعنى ولا ارتباط، بل كلٌّ منهما مستقلٌّ بنفسه، كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾[4] نجد أنَّ الترابط قوي بين ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ وما قبله، فسياق الآيات يبرز قدرة الخالق الرحمن الذي حكم حركة الشمس والقمر... أما المناسبة الخاصة التي تسوغ العطف فهي موجودة ولذا فصل بين ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ وما قبلهما... إلى غير ذلك مما ترى المناسبة الخاصة فيه غير قائمة، والمناسبة العامة

---

(١) سورة الطارق: ١٧.

(٢) ينظر: البلاغة الواضحة: ٢٥١، ٢٥٢؛ وينظر: الخلاصة في البلاغة: ٢٨، ٢٩.

(٣) سورة فصلت: ٣٤.

(٤) سورة الرحمن: ١–٥.

واضحة جليلة.

الثالث: (شبهة كمال الاتصال)[1]، وهو كون الجملة الثانية قوية الارتباط بالأولى، لوقوعها جواباً عن سؤال يفهم من الجملة الأولى فتفصل عنها، كما يفصل الجواب عن السؤال، كقوله تعالى عن لسان النبي يوسف عليه السلام: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾[2] حيث فصلت جملة ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ عما قبلها ؛ لأنَّها وقعت جواباً لسؤال تضمنته، وهذا السؤال عن السبب الخاص ؛ إذ فحواه: لم نفيت التبرئة عن النفس، هل النفس أمارة بالسوء؟ جاء الجواب ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾.

الرابع: (شبهة كمال الانقطاع)[3]، هو أن تسبق جملة بجملتين يصح عطفها على الأولى لوجود المناسبة، ولكن في عطفها في الثانية فساد في المعنى، فيترك العطف بالمرة دفعاً لتوهم أنّه معطوفٌ على الثانية، وكقول الشاعر:

وتظنَّ سلمى أنني أبغـــي بهـــا بدلاً أراها فِي الـــضلال تهـــيمُ

فجملة (أراها) يصح عطفها على جملة (تظن) لكن يمنع من هَذَا توهم العطف على جملة (أبغي بها) فتكون الجملة الثالثة من مظنونات سلمى مع أنّه غير المقصود ذَلِكَ المعنى، ولهذا امتنع العطف بتاتاً، ووجب الفصل، والمانع من العطف أمر خارجي محتمل يمكن دفعه بمعونة القرينة[4].

---

(١) ينظر: البلاغة الواضحة: ٢٥١، ٢٥٢؛ وينظر: الخلاصة في البلاغة: ٢٩.

(٢) سورة يوسف: ٥٣.

(٣) ينظر: جواهر البلاغة: ١٨٣؛ وينظر: الخلاصة في البلاغة: ٢٩؛ وينظر: البلاغة الواضحة: ٢٥٢؛ وينظر: علوم البلاغة: ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩.

(٤) ينظر: البلاغة الواضحة: ٢٥٢؛ وينظر: الخلاصة فِي البلاغة: ٢٩.

ومن هَذَا الذي سبق يُفهم الفرق بين كُلّ من (كمال الانقطاع وشبه كمال الانقطاع).

الخامس: (التوسط بين الكمالين مع قيام المانع)[1]، وَهُوَ كون الجملتين متناسبتين، وبينهما رابطة قوية، لكن يمنع من العطف مانع، وَهُوَ عدم قصد التشريك فِي الحكم. «كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[2]، فجملة ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ لا يصح عطفها ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ لاقتضائه أنّه من مقول المنافقين، والحال أنّه من مقوله تعالى: (دعاءً عليهم) ولا على جملة (قالوا) لئلا يتوهم مشاركته له فِي التقييد بالظرف، وأنّ استهزاء الله بهم مُقيد بحال خلوهم إلى شياطينهم، والواقع أنّ استهزاء الله بالمنافقين غير مقيد بحالٍ من الأحوال، ولهذا وجب الفصل أيضاً»[3].

❑ سياقات الوصل والفصل وأسراره الجمالية:

إنّ الربط بين أجزاء الكلام من المباحث المهمة التي تأخذ بأيدينا إلى أسرار الكتابة وطرائق الإجادة فِي معرفة مواضعها، وَقَدْ اهتم النقاد والبلاغيون والنحويون بدراسة أدوات الربط ووسائله، فكان مبحث الوصل والفصل وكذلك مباحث حروف العطف وأدوات الربط الأخرى من أهم المباحث فِي البلاغة العربية والنحو العربي، ومبحث الفصل الوصل صعب

---

(١) ينظر: جواهر البلاغة: ١٨٦؛ وينظر: الخلاصة فِي البلاغة: ٢٩؛ وينظر: البلاغة الواضحة: ٢٥٢؛ وينظر: علوم البلاغة: ١٦٩.

(٢) سورة البقرة: ١٤-١٥.

(٣) الخلاصة فِي البلاغة: ٢٩، وعلم المعاني، بسيوني: ٤٧٤.

المسلك لطيف المغزى، كثيرة الفائدة، وأجمل معلم للفصل والوصل نجده فِي نسق وتناسق آيات القرآن الكريم، فإنّ سبك الكلام فِي سياقات الآيات الكريمات ودقة أسره وشدة تلاحم أجزائه تحتاج إلى حذق حاذق ماهر يميز بين أقسام الجمل[1].

فمن حق الجمل إذا ترادفت وتتابعت ووقع بعضها إثر بعض أن يعطف على بعض، والأفكار ومعاني الألفاظ لا حصولها، وضم فكرة إلى أخرى، ولفظ ذي معنى إلى لفظ آخر ذي معنى موافق أو مخالف يتطلب إدراكاً عالياً جدّاً، وقادراً على تمييز درجات حُسن التلاؤم، ودركات قبح عدم التلاؤم الذي يولد فِي النفوس الصدَّ أو النفرة أو الاستقباح، أو الحكم على الكلام بالركاكة، وسوء التركيب، وخروجه عن أُطر الجمال الفني، بسبب أنّ التلاؤم وعدم التلاؤم بين المعاني قضية جمالية فكرية، لذا فالبحث فِي الوصل والفصل كالبحث فِي صور حركات السحب وتشكيلاتها المتنوعات الناتجات عن تقاربها وتباعدها، واجتماعها وافتراضها[2] وسياقات الوصل والفصل له أسرار جمالية فنية وانفعالية ودلالية مؤثرة على الروح والوجدان والعقل، وَهَذَا ما نجده فِي آي الذكر الحكيم، حيث يجمع تلك الجماليات بجامع فني راقٍ ويشير بعضها إلى بعض[3].

ففي تناسق سياقات الوصل والفصل التماسك والإحكام والتلاؤم

---

(١) ينظر: علوم البلاغة: ١٦٢؛ وينظر: فن التحرير العربي: ٨٥؛ وينظر: الطراز لأسرار البلاغة: ٢/٢٠.

(٢) ينظر: البلاغة الميسرة: ٤٩٣؛ وينظر: البلاغة العربية: ١/٥٥١.

(٣) ينظر: البلاغة العربية: ١/٥٥٢.

والسلاسة، نظراً إلى ما يشمل حسن بناء، وسبك، ولين، وسهولة فِي النطق، وعذوبة فِي مجاري السمع، ونبيّن هَذَا البناء الجامع لكل معانيه الفنية والإيقاعية والنظم اللفظي والدلالي من القرآن الكريم[1].

قَالَ تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2] وهنا نقف وقفة بلاغية للوصل والفصل فِي هذه الآية البديعة حيث ننبه على التناسق البديع فِي السياق القرآني.

«فالمتأمّل فِي هذه الآية العجيبة مع اشتمالها على العذوبة فِي ألفاظها المفردة والسلاسة فِي تراكيبها، والنظام العجيب، والتأليف الأنيق، والأسلوب البديع، حتّى لا تكاد لفظة واحدة تخلو عن ملاحظة البلاغة، ومواقع الفصاحة، وكيف احتوت على التنبيه على أسرار عظيمة ومعانٍ فخمة على أسهل نظام وأيسره مع ما يحمل من معلم البلاغة فِي الوصل والفصل بين تراكيبه مع أتم بيان وأكمله»[3].

ونشير إلى هَذَا الربط البديع فِي الآية بين عطف (الأرض) على (السماوات) وَهُوَ وصل مفردة بأخرى عطفاً عليها بحرف (الواو) ترتيباً فِي الخلق، لأنّ الله خلق السماوات وبعدها الأرض، وعطفاً فِي الإعراب، وهي مفعول به ثانٍ منصوب معطوف على المفعول به الأول (السماوات) المنصوب.

---

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١/٥٥٣.

(٢) سورة الأعراف: ٥٤.

(٣) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة: ١/٧٤.

وَفِي جملة ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ فهنا (شبه كمال اتصال) كون الجملة الثانية قوية الارتباط بالأولى، لوقوعها كأنها جواباً عن سؤال: ما خلق الله ويحتمل يكون الجواب خلق الليل والنهار ويغشي الليل النهار، فهنا فصل للسبب الذي ذكرناه.

وَفِي قوله تعالى: ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ أي: يطلب كُلّ منهما طلباً سريعاً[1]، وهنا بلاغة فصل أيضاً لوجود (كمال انقطاع) لوجود اختلافاً تامّاً فلفظة ﴿يُغْشِى﴾ أي: يغطي كُلّ منهما للآخر و﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ أي: يطلبه سريعاً.

وَفِي عطف ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾ عطف على ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ﴾ وَهُوَ وصل اتفقت فيه الجملتان فِي الخبرية وبينهما مناسبة فِي المعنى.

وَفِي فصل ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ عمّا قبلها لوجود (كمال انقطاع) لوجود اختلافاً تامّاً فِي المعنى.

(١) تفسير الجلالين: ٢٠١.